# تمهيد

لأسباب كثيرة، كان ولايزال وطننا العربى وعالمنا الإسلامى مستهدفين من أعداء كثيرين . . تعاقبت القرون، واختلفت النظم، وتنوعت الحضارات، وتغايرت الملابسات، ومع ذلك بقى هذا الوطن مرمى للأطماع المتحدية، والتحديات الطامع أصحابها فى احتوائه حضاريّا، وسحقه قوميّا، وتحويله إلى «هامش» لحضارتهم الغازية، وذلك حتى يتأبد نهبهم وسلبهم لخيرات هذا الوطن الكبير[1] . . .

ولذلك . . فلقد كان ولا يزال قدراً على أبناء هذه الأمة، إن هم أرادوا حماية وطنهم، وتحقيق أحلامهم فى أن يصبح «جنة» دنياهم، أن يكونوا فى «رباط» دائم، و«استنفار» مستمر، ويقظة لا تعرف الاسترخاء! . . . فأمام التحديات العاتية والدائمة لا أمن ولا أمان لهذا الوطن إلا إذا عاش فى ظلال السيوف! . . .

(١) لتفصيل أسباب هذه التحديات، واكتشاف القانون الذى حكم صراع أمتنا ضدها انظر كتابنا [العرب والتحدى] طبعة سلسلة «عالم المعرفة» ـ الكويت ـ مايو سنة ١٩٨٠م.

وصدق رسول الله ﷺ، عندما خاطب أمتنا فقال: **«اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»**[1]. . فإذا ضمنت ظلال السيوف العربية الإسلامية لإنساننا «جنة» دنياه، ضمن له ربه، سبحانه، «جنة» آخرته!. . فالدنيا هى طريق الآخرة. . وصلاح الآخرة والأديان مرهون بصلاح الدنيا والأبدان والأوطان؟!. .

ومن هنا، ولهذه الخصوصيات التى جعلت وطننا هدفًا للتحديات العاتية، والدائمة، كان «للجهاد» فى فكر أمتنا، الدينى والحضارى، ذلك المكان العالى والمقام الرفيع. . وناهيك بفكر يجعل «الجهاد» خصوصية لهذه الأمة، هى «رهبانيتها» التى تتقرب بها إلى الله فيقول رسولها الكريم، عليه الصلاة والسلام: إن **«لكل نبى رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله»**[2]. . كما يجعله «سياحتها» التى تجدد بها شبابها وحيويتها، فيقول الحديث الشريف: **«إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله»**[3].

ففى «الجهاد» الضمان الوحيد والأكيد لكى يكون لهذه الأمة «جنة» فى الدنيا، و«جنة» فى الآخرة. . وفى هذا «الجهاد» «رهبانية» هذه الأمة «وتدينها» تتقرب به إلى الله، وأيضًا «سياحتها» التى تجدد بها حيوية النفس وطاقات الإبداع!.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٢) رواه أحمد بن حنبل.

(٣) رواه أبو داود.

و«الجهاد»، كواحد من مفردات لغتنا العربية، مصطلح واسع وفضفاض، فهو يعنى: «استفراغ الوسع وبذل الجهد فى مدافعة الأعداء»، على تعدد فى الميادين التى يبذل فيها الإنسان وسعه وجهده، وتنوع واختلاف فى نوعية هؤلاء الأعداء.. فمن الفكر، إلى الكسب المادى، إلى الميادين المتعددة للقتال ـ ومن الأعداء الظاهرين، إلى مجاهدة النفس، إلى مغالبة وسوسة الشياطين.. كلها ميادين لألوان وأنواع من «الجهاد»!..

ولذلك وجدنا لغتنا العربية تستخدم مصطلحات مثل [الحرب] للدلالة، بشكل مباشر، على «الصراع المسلح» ضد الأعداء.. ففى القرآن الكريم:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

وفى الحديث الشريف يقول الصحابى الجليل عبادة بن الصامت ـ وهو أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر الذين تأسست ببيعتهم للرسول ﷺ، فى العقبة الدولة العربية الإسلامية الأولى ـ يقول: «بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب.. على السمع والطاعة، عسرنا ويسرنا، ومنشطنا

ومكرهنا، ولا ننازع فى الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، ولا نخاف فى الله لومة لائم»[1].

فإذا كان مراد لغتنا العربية هو الحديث الأكثر مباشرة عن موضوعات «الصراع المسلح» كان مصطلح «القتال» هو أداة التعبير ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [ البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣ ].

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [ التوبة: ٥ ].

إلى آخر الآيات التى ورد فيها مصطلح «القتال»..

أما مصطلح «الجهاد» فكما يراد به التعبير عن عمليات «الصراع المسلح» يراد به، فى أحيان كثيرة، بذل الجهد واستفراغ الوسع فى ميادين

(١) رواه أحمد بن حنبل.

أخرى ومهام مختلفة . . ففى الأحاديث النبوية نقرأ: «**الحج جهاد، والعمرة تطوع**»[1] . . و«**الحج جهاد كل ضعيف**»[2]! . .

وعندما أتى رجل إلى النبى ﷺ، يستأذنه فى «الجهاد»، بمعنى «القتال»، سأله الرسول: «**أحى والداك؟**» .

ـ قال: نعم.

ـ قال: **ففيهما فجاهد**»[3]! . .

كما نجد مصطلح «الجهاد» شاملاً الإبداع الأدبى فى الشعر الذى تصوغه قرائح الشعراء المسلمين، أولئك الذين انتصروا بشعرهم للإسلام وأهله من شعراء الشرك الذين اتبعهم الغاوون، عندما جعلهم الشرك فى واد يهيمون! . . فعندما أنزل الله فى شعراء الشرك قوله:

﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦].

جاء الشاعر الصحابى كعب بن مالك [٥٠هـ ـ ٦٧٠م] إلى رسول الله، ﷺ، سائلاً «إن الله، تبارك وتعالى، قد أنزل فى الشعر ما قد علمت، وكيف ترى فيه؟ . .

---

(١) رواه ابن ماجة.

(٢) رواه النسائى وابن ماجة وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن حنبل.

ـ فقال النبى ﷺ : «**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه**»[1]! . .

هكذا نجد التعبير فى لغتنا العربية عن «فعل الصراع المسلح» بمصطلح «القتال» إذا كان القصد إلى التعبير الأكثر مباشرة، وبمصطلح «الحرب» إذا كان التعبير مباشراً . . وبمصطلح «الجهاد» إذا كان المراد بذل الجهد واستفراغ الوسع فى مقاومة الأعداء، قتالاً كانت المجاهدة أم غير قتال . .

ومع ذلك فلقد حظى مصطلح «الجهاد» بشيوع فى الفكر الإسلامى جعل الكثيرين يحسبون أنه الأولى والأخص فى التعبير من مصطلحى «الحرب» و«القتال»، فعقدت مباحث «القتال» وفصوله دائمًا وأبدًا، تحت عنوان: «الجهاد»! . . .

* * *

(١) رواه أحمد بن حنبل .